تمثلات الآخر في رواية "الخيميائي" لـ"باولو كويليو"

لعلاونة محمد الأمين

mamilalaouna@hotmail.com

مخبر تحليل الخطاب / جامعة مولود معمري تيزي وزو

الأستاذ المشرف: علي حمدوش/أستاذ محاضر صنف أ

ملخص:

يعد الحديث عن رواية الخيميائي " **لباولو كويليو**"، حديثا عن نص زاوج بين نظرتين متباينتين؛الأولى نظرة غربية استمدها الكاتب من واقعه الغربي المشبع بثقافة الهيمنة والماديات،ونظرة ثانية كانت معاكسة للنظرة الأولى ومختلفة عنها من حيث المبادئ والقيم؛ إنها نظرة صوفية لواقع متفكك روحيا ومشتت ثقافيا؛ نظرا للكم الهائل من المعارف والفلسفات التي طغت على عصر سُمي أو أطلق عليه مجازا عصر **"ما بعد الحداثة"**، لتأتي رواية الخيميائي في ثوب جديد ساير ما هو موجود وتطرق للبحث عن ماهية الوجود، في قالب سردي كانت أحداثه تدور بين عالم الغرب بماديته–إسبانيا/الأندلس– وعالم الشرق بروحيته–المغرب/مصر–، ليصنع بطل الرواية "سانتياغو" **صورة الذات الغربية المهيمنة** ويصنع العربي صورة الذات " المستلمة للواقع المحيط بها في عباءة ذات تؤمن بـ" **المكتوب**" أكثر من إيمانها بـ **"تحقيق الذات"، للتعارض الذوات ويصنع باولو كويليو فسيفساء من الشخصيات في رواية غرب–شرقية.**

الكلمات المفاتيح: الخيميائي– التصوف– الذات–ما بعد الحداثة– المادية– الروحية.

Résumé :

Parler de l'Alchimiste de Paulo Coelho, c'est forcément parler de son texte qui a regroupé deux regards totalement différents, l'un est accidentel dont l'auteur s'est inespéré de sa réalité occidentale caractérisée par la culture de la domination et le matérialisme,et l'autreopposé au premier , différent de celui-ci en termes de principes et de valeurs, c'est le regard mystique d'une réalité spirituellement incohérente et culturellement fragmentée. Et ce en raison de la quantité énorme de connaissances et de philosophies qui ont dominé cette ère appelée métaphoriquement, l'ère de la «post-modernité». Le roman de

l'Alchimiste vient sous un nouvel ongle qui a pour objet à la fois de garder ce qui existe et chercher la vraie signification de l'existence, et ce en adoptant un style narratif dont les évènements se déroulent entre l'occident avec son matérialisme (Espagne et Andalousie) et l'orient avec sa spiritualité (Maroc et Egypte). Le héros de ce roman, Santiago, montre l'image de soi occidentale et dominante. Cependant, l'arabe montre l'image de soi acceptant la réalité qui l'entoure sous prétexte de **« Destin »** plus que sa croyance par **« la réalisation de soi »** pour s'opposer au soi. Paulo Coelho fabrique cette mosaïque de personnages dans un roman occidental à l'orient.

Mots clés: l'Alchimiste, le soufisme, le soi, la postmodernité, le maternalisme, la spiritualité.

مقدمة :

إن المتتبع الحذق لحالة ما بعد الحداثة اليوم سيلحظ لا محالة ذلك الرداء الصوفي الخفي الذي تلتحفه ما بعد الحداثة سواء في فلسفتها أو في بعض أقانيمها؛فنيتشه" FriedrichWilhelm Nietzsche" كوجه من وجوه ما بعد الحداثة تكلم صوفيا على لسان ز ارادشت ،وبودلير "Charles Baudelaire" في ديوانه " **أزهار الشر**" كان متأملا بامتياز لذاته وللعالم من حوله ،إنه تمازج بين الشكليِ الظاهريِ **"ما بعد الحداثة "** و الروحيِ الباطنيِ**"التصوف "** ،بيدَ أن دارسِي حالة ما بعد الحداثة أهملُوا الخفي وراحوا يبحثون بقصدٍ أو بغير قصدٍ عن الظاهريِ المتجلِي ، ولما كانت الرواية وجهًا من وجوه التعبير الانسانيِ فإنها هِي الأخرى سايرت ما هو موجود – الظاهر– دون إهمال للاموجود – الباطن الخفي – ، فجاءت **" الخيميائي "** لكاتبها **" باولو كويليو** Paulo Coelho" مرآة لعالم جامع لذوات مختلفة في صورة ذات باحثة عن تحقيق كينونتها سواءٌ باستعمال اللغة كأداة محدِدَة للفكر أو باستعمال الإشارات كأنساقٍ صوفيةٍ تدرك الوجود خارج فلسفة ما بعد الحداثة ومن هنا جاء موضوع مداخلتنا ليبحث عن إجابة لمجموع أسئلة لعل أبرزها :

كيف نستجلي مظاهر ما بعد الحداثة في **" رواية الخيميائي"** قرائيا ؟ما هي الذوات المتعارضة بعضها بعض داخل رواية الخيميائي ؟وكيف تمثل باولو كويليو الذوات في عالم الشرق؟ وإذا كانت ما بعد الحداثة لا تؤمن بالفكر خارج اللغة فلماذا تتم العودة إلى فكر صوفي كان يؤمن بقصور اللغة ؟أليس تناقضا أن نحصر الموجودات في اللغة وفي المقابل نحصر اللغة المتداولة في التواصل فقط؟

I–الخميائي بين الخفاء والتجلي :

اختارَ" **باولو كويليو** " لروايته عنوانا يجمع بين المادي " **الظاهري**" ، والميتافيزيقي " **الباطني**" فكان " **الخيميائي**" عنوانا رحبا يجمع بين الصفتين المتناقضتين ، المادي الملموس والخفي المجرد حيث ارتبط مصطلح الخيميائي في الثقافات القديمة بعلم الكيمياء التي يعرفها ابن خلدون بقوله : " **وهو علم في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة** "[1] وهو الجانب المادي الذي تمثل في الرواية في كنز مدفون بجانب أهرامات مصر ، ليستطرد ابن خلدون تعريفه بقوله " **والذي يجب أن يعتقد في أمر الكيمياء ...أنها من جنس آثار النفوس الروحانية** "[2] وهو الجانب الباطني الروحي الذي حصَّله " **سانتياغو**" بطل الرواية من خلال تجربة السفر وفعل تأمل الكون في كيينونته واستبشار الرؤى في إشاراتها ومدلولاتها بحثا عن تحقيق **أسطورته الشخصية** ،إنها – الخيمياء– إظهار ليس في أيس[3]أو إخراج العدم إلى الوجود ،وهو ما حاول خ يميائيُ الرواية تعليمه لسنتياغو في قوله :"**عندما نحلم بشيء فإن الكون بأسره يطاوعنا على تحقيق حلمنا** " [4] ،أليست معادلة تجمع بين طياتها **الحلم** كميتفافيزيقا وفعل **التحقق** كواقع يستوجب الوجود داخل عالمين متنافرين ،عالم يمثل الحقيقة وعالم يمثل الضلال [5].

II–التمثيل الصوفي للبطل الروائي :

جاء بطل رواية " **الخميائي**" في صورة إنسان يمتهن الرعي، ويطالع الكتب، ويحب الترحال متنقلا بين سهول الأندلس الخصبة مع مجموعة خراف ، "**كان اسمه سنتياغو..**"[6] بهذه العبارة بدأ باولو كويليو روايته وكأنه يريد من القارئ التركيز على البطل الأنطولوجي الذي تمثل في صورة مريد لشيخ متصوف يطيع أوامره ويستلهم معالم الطريق التي رسمها له إنها طريق لمعرفة الحياة بصورة ذاتية خارج مركزية المؤسسة الدينية التي لم يؤمن بها بطل الرواية ،بل وتمرد على كل قيمها بعدما " **درس اللاتينية والاسبانية واللاهوت ، ولكنه كان يحلم منذ نعومة أظفاره بأن يختبر الحياة ،وذلك شيء أكثر أهمية من معرفة الرب وآثام البشر** " [7]. متسائلا بينه وبين ذاته عن كيفية **البحث عن الرب داخل المدرسة الإكريليكية** ليختار طريقالرحلة وما تحمله من دلالة صوفية،بعدما راوده حلم عن كنز مدفون بجانب أهرامات مصر ويتكرر الحلم مرتين متتاليتين مما حدا ببطل الرواية إلى البحث عن مفسر للأحلام عله يرشده إلى تحقيق أسطورته الشخصية "**حاثا خطاه وسرعان ما تذكر أن في طريفا امرأة عجوزا تعرف تفسير الأحلام** " بيد أن العجوز الغجرية لم تستطع تفسير الحلم لتعلقه بذاتية البطل ولغة الرب وهو ما يقترب من مفهوم الكشف الصوفي الذي يعرفه ابن عربي بقوله: "**الكشف أن الحق نفسه كان عين الدليل على نفسه وعلى ألوهيته، وأن العالم ليس إلا تجلية في صور أعيانهم الثابتة التي يستحيل وجودها بدونهم**"[8]،تقول الغجرية مؤكدة قول ابن عربيفي تعريفها للأحلام: " **إن الأحلام هي لغة الرب عندما يتكلم**

الرب بلغة العالمين " هكذا كانت إجابة العجوز الغجرية، إنها إذن – الأحلام- " **كلام بكلمة الحق تعالى لعبده ولذلك كانت جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة** " [9] ،ليلتقي بعدها بطل الروايةبشيخ عجوز تمثل في شخصية **"ملك سالم"** الذي استطاع أن يقنع " **سانتياغو"** بقدرته على تحقيق ذاته بعيدا عن العالم الميتافيزيقي **"ففي لحظة معينة من وجودنا نفقد السيطرة على حياتنا فنغدو، منذ ذلك ،مسوقة بالقدر ههنا تكمن أكبر خديعة في العالم"**[10] ،إنها صورة لتحقيق ذات تقترب في كينونتها من الذات النيتشوية التي تستبشر المستقبل بناء على قيم جديدة تشرعها بإرادتها،إرادة تصبو إلى الحصول على القوة من أجل إخضاع الموجود لسلطتها [11] ، وهو ما اقتفاه بطل " **الخيميائي"** من خلال اختياره الرحلة وبحثه عن تحقيق **أسطورته الشخصية** .

III–التمثيل الدوني للآخر في عالم الغرب :

بعد دراستنالشخصية البطل الروائي في رواية الخيميائي، وجب علينا أن نتطرق إلى الحديث عن الرحلة التي خاضها "سانتياغو" في بحثه عن تحقيق أسطورته الشخصية، ذلك أن رحلته في الرواية **– الخيمائي–** تشبه الرحلة التي اختارها مجمع الطير في " **منطق ""فريد الدين االعطار"** بحثا عن **"السيمورغ"**[12] ،إنها طريق طويلة انطلقت من الأندلس كمركز للعالم وهذا ما أشار إليه **"باولو كويليو"** في قوله " **واسرح في العالم حتى اليوم الذي تدرك فيه أن قلعتنا هي الأكثر أهمية ،وأن نساءنا هنّ الأجمل** " [13] ،بيد أن هذه القلعة التي تمثل الغرب لا تخلو من النزعة المادية ومن احتقار الآخر، ذلك الآخر الذي جاء في عدة تيمات، فهو **العجوز الغجرية** التي تطلب المال نظير تفسيرها لحلم **"بطل الرواية"**سانتياغو ؛**ذلك أنه "حلم بلغة العالمين، ويمكنني تفسيره، لكن بصعوبة بالغة، لذلك يبدو لي أنني أستحق حصتي مما سوف تجده"** [14]هكذا كانت إجابة الغجرية التي تمثلها باولو كويليو شخصية مخادعة تسعى لتحقيق مصالحها المادية، متعارضةً بذلك مع مصالح الغير–سانتياغو– الروحية، مما دفعه لترك الحلم والتفكير في تجارته–المادة– وإهمال كل ما هو روحي.

أما صورة العربي في العالم الغربي، فكانت صورة تحمل في دلالتها جانبا دينيا وآخر سياسيا، إنها تلك الشخصية التي جسدها **"ملك سالم"** أو **"ملك القدس–أورشليم–"** لقد كانتشخصية هيولية عارفة بالجوانب الغيبية، دون إهمالها للجوانب المادية، يقول السارد على لسان " **ملك سالم":" ليس بهذا الشكل دائما ولكنني لا أتخلف عن الظهور إطلاقا، أحيانا أظهر في شكل فكرة جميلة ،وأحيانا أخرى وفي كل لحظة حاسمة، أتصرف على نحو تغدو الأمور ،معه، أكثر سهولة، وهكذا، ولكن معظم الناس لا يلاحظون شيئا"** [15] ،إنها شخصية تجسد قيمة الحكيم العارف التي تقترب بشكل أو بآخر من الذات الصوفية التي تحيلنا إلى شخصية عبد القادر الجيلاني في قوله:

أنَا القـُرآنُ والسـبعُ المَـثَّانِي ورُوحُ الـرُوح لا رُوحُ الأَوانِي

وغُص في بَحـرِ ذَاتِ الذَاتِ تَنظُر معَـانِـي مَا تـبَدت للعَيـانِ

وأسـرَارِي قِـــــرَاءَة مُبهِمَاتٍ مُـستَرةٍ بِأرواحِ المـــعانِي

ومن فَهِم الإشِـــــارة فليَصُنها وإلا سَـوف يُقـتل بالسِنانِ [16]

يحاول "**عبد القادر الجيلاني**"[17] من خلال أبياته، أن يبين لنا أن الذات الصوفية، هي الأخرى "**ذات هيولية**" تنظر للوجود نظرة عارفة، تغوص فيه وهي مدركة للموجودات، مفككة للغة الإشارات، وهذا ما يقترب من نظرة "**ملك سالم**" في "**رواية الخيميائي**"، كما يقترب من نظرة " **أوغسطين**saint Augustin " لمفهوم الذات في فلسفته التي تقوم على " **منافسة حارة وغير منقطعة بين المخلوق والخالق، بين الإنسان الذي يطلب الله، والله الذي يأتي لملاقاته، رحلة روحية للموجود المتناهي نحو الموجود اللامتناهي، ومعرفة الإنسان لذاته في الماهية الحقيقية لوجوده**" [18] وهذا ما سعى البطل الروائي إلى تحقيقه من خلال رحلته نحو عالم الشرق وروحانيته.

لم يهمل "باولو كويليو" في روايته "**الخيميائي**" موضوع المرأة؛ بل أشار إليها في صورتين متناقضتين، الأولى كانت ابنة التاجر الذي يشتري الصوف من "**سانتياغو**"؛ حيث صورها في صورة المرأة الغربية المتفتحة على الآخر يقول السارد :" **إنها فتاة ذات ملامح أندلسية، ولها شعر أسود طويل وعينان تذكران، على نحو غامض بالغزاة المغاربة القدامى**" ،إنه وصف لملامح فتاة تعيش في الأندلس بيد أن "**باولو كويليو**" أراد أن يضمن نصه عبارة تظهر وكأنها هامشية غير أنه تمثل أيديولوجيا أراد الكاتب إيصالها للمتلقي، والمتمثلة في قوله: " **الغزاة المغاربة القدامى**" التي تنافي ما هو موجود من حقائق تاريخية حول الفتح الإسلامي وجهود موسى بن نصير في ذلك ،"**فبعد أن أرسى موسى بن نصير، ومن معه كلمة الإسلام بجهودهم في الشمال الإفريقي، كانت الخطوة التالية الطبيعية هي فتح الأندلس. وقد اتبع موسى خطة سليمة أكمل بها جهود من سبقه من الجند والدعاة في ترسيخ قدم الإسلام في المغرب الكبير، وأدرك أن تعميق الإسلام وقدمه وإقراره يتطلب عليه تثبيته في النفوس ليُحافظ عليه ذاتيا– لا القوة الغشوم – هذا الدين الجديد** "[19].

غير أن رواية السارد عكس ما تشير إليه كتب التاريخ الإسلامية حول فتح الأندلس ،ليواصل وصف الفتاة الأندلسية قائلا :" **ظلا يتحدثان أكثر من ساعتين. قالت له أن إنها ابنة التاجر، وحكت له عن الحياة في القرية، حيث تتشابه الأيام. وحكى لها الراعي عن الريف الأندلسي، والسلع الجديدة التي شاهدها في**

المدن التي مر بها. وكان سعيدا لأنه ليس مجبرا على الحديث دائما مع النعاج" [20]،يُظهر "**باولو كويليو**" في مقطوعته السردية المرأة الأندلسية المتحرر من الغزاة المغاربة في صورة المرأة المتفتحة على الآخر، تلك المرأة التي تجلس مع الزبائن في دكان والدها وتتبادل معهم وجهات النظر والأفكار سواء حول التجارة أو حول حياتهم الشخصية، كما أنها امرأة تجيد القراءة والكتابة، غير أن المضمرات الثقافية والمغالطة القصدية، لا تخلو من نص كهذا، وهذا ما يظهر في القول الأخير لسنتياغو " وكان سعيدا لأنه ليس مجبرا على الحديث دائما مع النعاج" لتظهر ذات البطل ذاتا ترندستالية تتعالى على الآخر، وكتلخيص لكل ما سبق نورد الترسيمة الآتية:

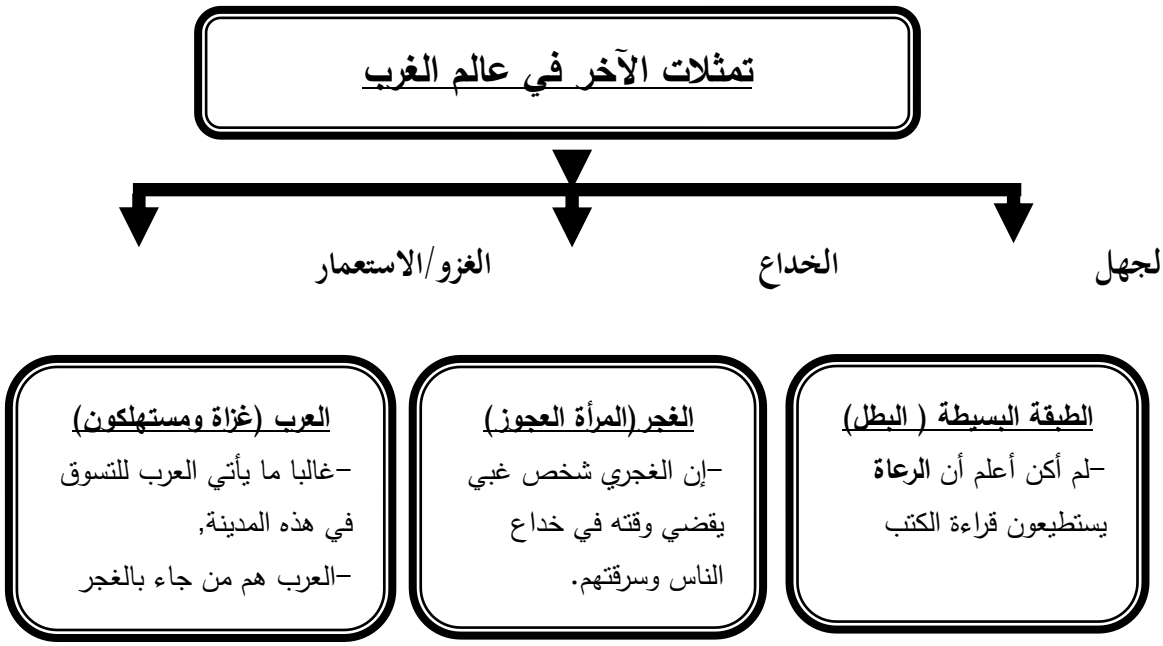

IV–نمطية الشخصيةالعربية في عالم الشرق:

يصور لنا "**باولو كويليو**" شخصية الإنسان العربي في روايته – **الخيميائي**– بصورة سلبية، فهو التاجر الخامل، واللص، والمستعمر وغيرها من الصفات النمطية التي ألف بعض الكتاب الغربيين إلصاقها بالعربي؛ سواء بطريقة مباشرة؛ أم غير مباشرة ،فكيف تمثلت هذه الشخصية في الرواية، وكيف عارضها سانتياغو بطل الرواية ؟

ينطلق " **سنتياغو**" في بحثه عن تحقيق **"أسطورته الشخصية"** وهو مؤمن بأن **"ليس الكل إلا واحدا أوحد"**[21]كما أخبره **"الشيخ سالم صدقي "**؛ ذلك أن مختلف المسميات إلا أسماء مختلفة الوجوه لحقيقة واحدة ،كل وجه منها لازم للآخر[22] ،ليصل إلى عالم الشرق بروحانيته التي استكنه فيها الوجود منطلقا من إيمانه بتحقيق ذاته ،غير أن هذا العالم لا يخلو من الآفات التي ركبتها أيديولوجيا الكاتب في في عالم الشرق والتي كانت بمثابة

الدافع الذي جعل البطل الروائي ينتقل من مدينة إلى أخرى ومن محطة إلى محطة أخرى كان مُنطلقها مدينة " طنجة" المغربية.

يبدأ "سانتياغو" محطته الأولى في منطقة "طنجة" بالمغرب، حيث يلتقي أول مرة تضعها قدمه على أرض إفريقيا بشخصية جسدها الكاتب في لص يحمل قيما متناقضة ، قيمة " **المقدس**" عندما نصح بطل الرواية بعدم شرب الخمر ف " **لا يوجد نبيذ في هذه البلاد لأن الدين يحرمه**" [23]ليقوضاللص ذلك الدين بسرقته مال "**سانتياغو**" ويتركه هائما في شوارع مدينة " **طنجة**"، **حيث حاول البطل الروائي أن "يوهم نفسه أن كليهما غاب عن نظر الآخر، مصادفة، وقرر أن يبقى في مكانه أملا بعودة الآخر، بعد برهة صعد رجل إلى تلك الأبراج الشهيرة وبدأ يؤذن. بعد ذلك، ومثل خلية نمل تعمل، نزعوا الأكواخ وغادروا**" [24]وكأن السارد أراد أن يقول هنا من خلال سرده لهذه الأحداث أن المجتمع الشرقي –الإسلامي– يهتم بالظاهر على حساب الباطن وهو ما يؤكده خلال كل الرواية.

ينتقل " **سانتياغو**" للعمل في متجر للبلور؛ كان يعاني صاحبه من قلة الزبائن وضعف المدخول ، مما حدا ببطل الرواية الذي صوره "كويليو" كقائد كارزمي مهيمن "**يعتمد على مؤثرات قوية وينجح في قلب التقليد والقواعد الجاهزة** "[25] ويحول المتجر إلى مقصد للزبائن من كل صوب وحدب "**إنه يبيع الآن أفضل من ذي قبل كما لو أن العالم قد تراجع إلى الزمن الذي كان هذا الشارع فيه المكان الأكثر اجتذابا في طنجة**"[26]، وذلك ليس راجع إلى قوة سانتياغو؛ بل يرجع إلى خمول التاجر العربي الذي ورغم إتقانه للغات مختلفة إلا أنه كان محدود التفكير يقول السارد: "**استقبل تاجر الأواني البلورية النهار الجديد، وقد انتابه نفس الشعور بالقلق الذي ينتابه كل صباح. فهو من قرابة ثلاثين عاما، يشغل هذا المكان الذي يمثل حانوتا يقع في قمة شارع صاعد، حيث يندر مرور الزبائن، والآن، فات الأوان على تغيير أي شيء إن كل ما تعلمه في حياته، هو شراء الأواني البلورية وبيعها، وقد مر زمن كان حانوته، فيه، يؤمه أناس كثيرون: تجار عرب، علماء آثار فرنسيون وإنجليز،جنود ألمان كانت جيوبهم مليئة بالنقود...وكان يحلم كيف سيغدو ثريا، وبكل النساء اللواتي سيحظى بهن في شيخوخته** "[27]، إنه بروز للشخصية العربية الإيروسية التي تؤمن بالجنس والمال على حساب كل القيم الأخرى.

يظهر من خلال النماذج السردية السابقة أن اللغة عند "**باولو كويليو**" ليست عاملا مهما يساهم في النجاح أو الفشل بقدر ما هي آلية تواصلية يقول :" **ثمة لغة تتخطى الكلمات ،وقد مررت مسبقا بهذه التجربة مع الأغنام. وها أنا أمر، الآن، بالتجربة ذاتها مع البشر**" [28] وهذا ما نجده في لغة المتصوفة، تلك اللغة

التي تعتد بـ" **التعبير بالرمز وحده، فما لا يمكن أن يوصف أو يعبر عنه بالكلام يمكن الإشارة إليه رمزا، والتعبير بالرمز هو وحده الذي يمكن أن يقابل الحالة الصوفية التي لا تحدها الكلمة** " "[29]وهي اللغة التي أتقنها سانتياغو؛ إنها لغة الإشارة التي تغير كل شيء، وتسير بك نحو تحقيق **أسطورتك الشخصية.**

تتسارع الأحداث وتتعقد ليحط " **سانتياغو**" رحاله في الصحراء متبعا الإشارات وإرادته في تحقيق حلمه ،لقد كانت ذاته تتأرجح بين "**الإنسان الأعلى**" الذي هو كنه الأرض [30] وبين الإنسان الصوفي الذي قال فيه ابن عربي " **أنت الكيميائي، وأنت السيميائي أنت إكسير القلوب وحياض رياض الغيوب ،بك تنقلب الأعيان ،أيها الإنسان** " [31]،ذلك الإنسان الذي صوره "باولو كويليو" في الصحراء كإنسان خارق للعادة ،بينما صور الآخر في صورة ذات ضبابية لا تستطيع التخلص من التقاليد ولا تنفك مقيدة بالواقع وهذا هو حال المرأة العربية، تلك المرأة المنغلقة على ذاتها، المقيدة بالمجتمع الذكوري –الباتريارکي– الذي جعلها رهينة للباس محدد وطريق معلوم السبل، يقول السارد على لسان سانتياغو الذي سأل امرأة عن مكان الخيميائي:" **مساء الخير يا سيدتي، هلا أرشدتني إلى مكان خيميائي يعيش في هذه الواحة؟ أجابت المرأة أنها لم تسمع به من قبل وانصرفت في الحال، إلا أنها تباطأت لكي تحذر الفتى من توجيه الكلام إلى النسوة اللواتي يرتدين ثيابا سودا، وتلفته إلى احترام التقاليد**" [32] ،تلك التقاليد التي تكبح المرأة وتجعلها رهينة للعرف والمجتمع، مما جعل في المجتمع الشرقي دورا سلبيا يقتصر على الزواج والإنجاب فقط؛ ذلك أن "**سلبية المرأة ليست صفة طبيعية في المرأة، ولكنها صفة غير طبيعية، نتجت عن ظغوط المجتمع وكبته لنموها**" [33]وهذا ما اكتشفه "سانتياغو" في الذات الأنثوية في عالم الشرق التي تعارضت مع الانثى التي جلس معها في الأندلس –ابنة التاجر– وكان الحديث بينهما متبدلا دون أية قيود يفرضها الدين أو المجتمع.

ينهي " **باولو كويليو**" روايته بوصول البطل " **سانتياغو**" إلى أهرامات مصر بعدما ساعده "**خيميائيٌ**" في قراءة الإشارات، وساعدته قوى الطبيعة كذلك في بلوغ منتهاه الذي تمثل في كنز؛ لكن هذا الكنز لم يكن مدفونا بجانب أهرامات مصر التي تمثل الشرق بل كانت –الأهرامات– كذلك مجرد مطية ركبها البطل المهيمن للوصول إلى مركزية الحلم والذي تحقق في الأندلس بجانب الكنيسة " **عالم الغرب** " فرغم الألم الذي تعرض له "**ساتياغو**" من قبل قطاع الطرق أثناء حفره بجانب الأهرامات للبحث عن كنزه، ورغم مشقة السفر إلا أنه استطاع الوصول إلى غايته والوصول إلى تحقيق أسطورته الشخصية يقول السارد:" **نهض الفتى تحت وطأة الالم وألقى نظرة أخيرة على الأهرامات فابتسمت له وابتسم لها وقفل راجعا وقلبه مفعم بالبهجة. لقد وجد الكنز**" ذلك الكنز الذي دفن بجانب الكنيسة في الأندلس. وختاما لهذا العنصر نورد الشكل الآتي:

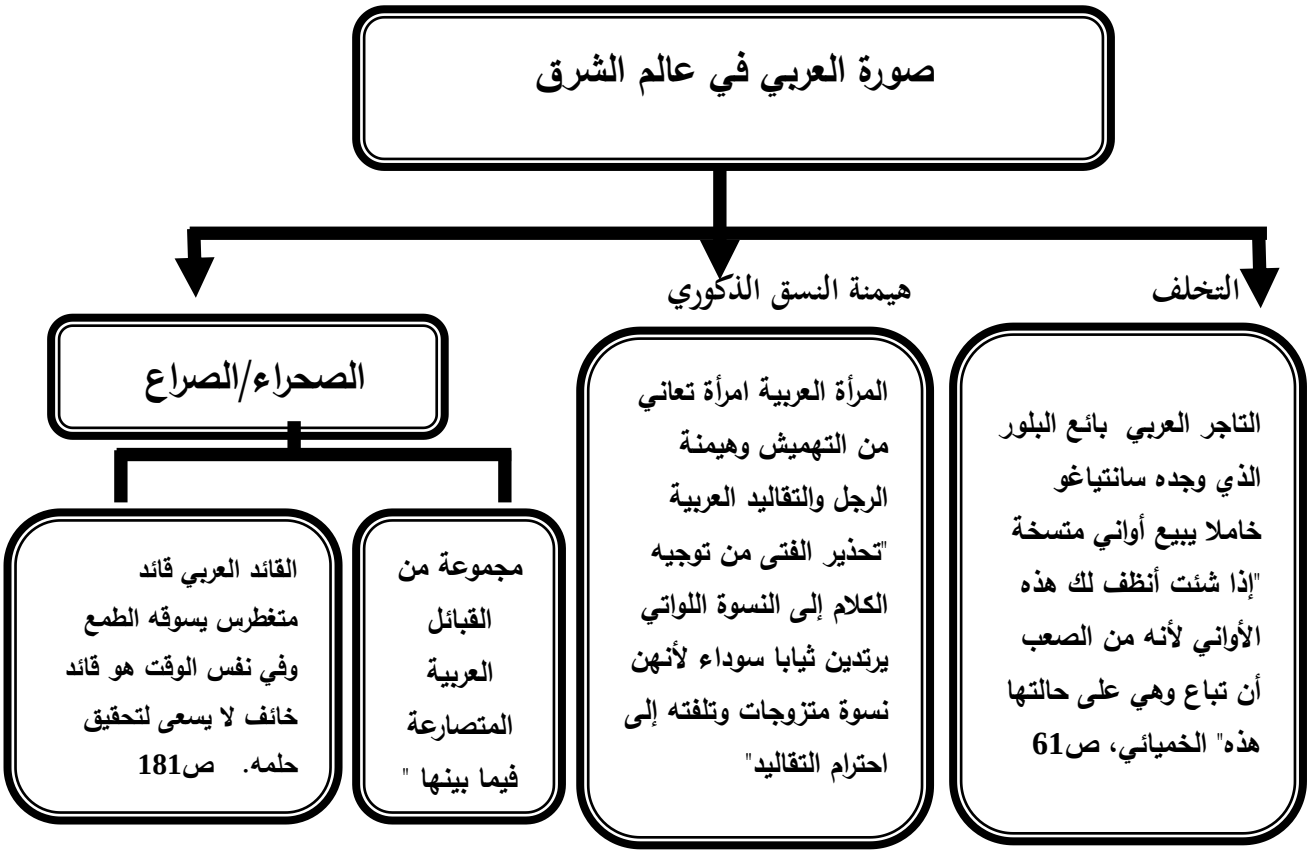

V– اللغة ونداء الوجود في رواية الخميائي:

جاءت اللغة في رواية " **الخيميائي** " مجازية، تحمل في طياتها مجموعة من البنى العميقة التي توجب على القارئ التزود بكم معرفي وأيديولوجي معين؛ حتى يستطيعفك شفراتها ،كما احتلت اللغة ذاتها حيزا واسعا في الرواية ،فكانت إشارية تحمل دلالة رمزية تقترب من لغة المتصوفة، يقول السارد على لسان الغجرية :**"لقد جئت تسألني عن الأحلام، إن الأحلام هي لغة الرب. عندما يتكلم الرب بلغة العالمين أستطيع تفسير كلامه، ولكن عندما يتكلم بلغة روحك، فليس هناك، عندئذ أحد سواك يستطيع الفهم"** [34]، لقد كانت إجابة الغجرية إجابةً تحمل في طياتها الكثير من الرؤى الصوفية؛ ذلك أن اللغة التي يخاطب بها الله عباده أجمعين هي لغة نستطيع أن نفسرها، بينما اللغة التي تخاطب الروح فهي لغة مستعصية على التفسير لتعلقها بروح صاحبها.

إنها لغة تسمو على كل اللغات؛ ذلك أنها لغة الإشارة التي يهبها الله/الرب لفئة من عباده دون غيرهم وهي نفسها اللغة التي تحدث عنها جلال الدين الرومي [35]على لسان الله في قوله يصف الذوات المريدة:" **وإذا ما**

أحسوا بأثر وخز الشوك، يعرفون أنهم سلكوا طريقا خاطئا فينظرون أمامهم وخلفهم؛ فيرون علامات الطريق ذلك أنني في هذا الطريق الموحش الذي لا علامة فيه نصبت علامات وإشارات" [36] ،إنها نفس الطريق التي سار عليها "سانتياغو" بلغة مكنته من التواصل مع جميع الأشياء والموجودات وهو ما يقترب من " **نداء الوجود"** عند الفيلسوف الألماني **"مارتن هايدغر** HeideggerMartin"الذي يعرفه بقوله " **بدونه لا يمكن للذات أن تنتشل من يومياتها العادية أو مما يفعل بها القدر ،الارتماء في أحضان الوجود أي للالتقاء بندائه .نعم إن الوجود ينادي ويسأل عبر اللغة"** [37]وهذا ما حصله " **سنتياغو"** في نهاية الرواية، وهذا ما نمثله بالترسيمة التالية:

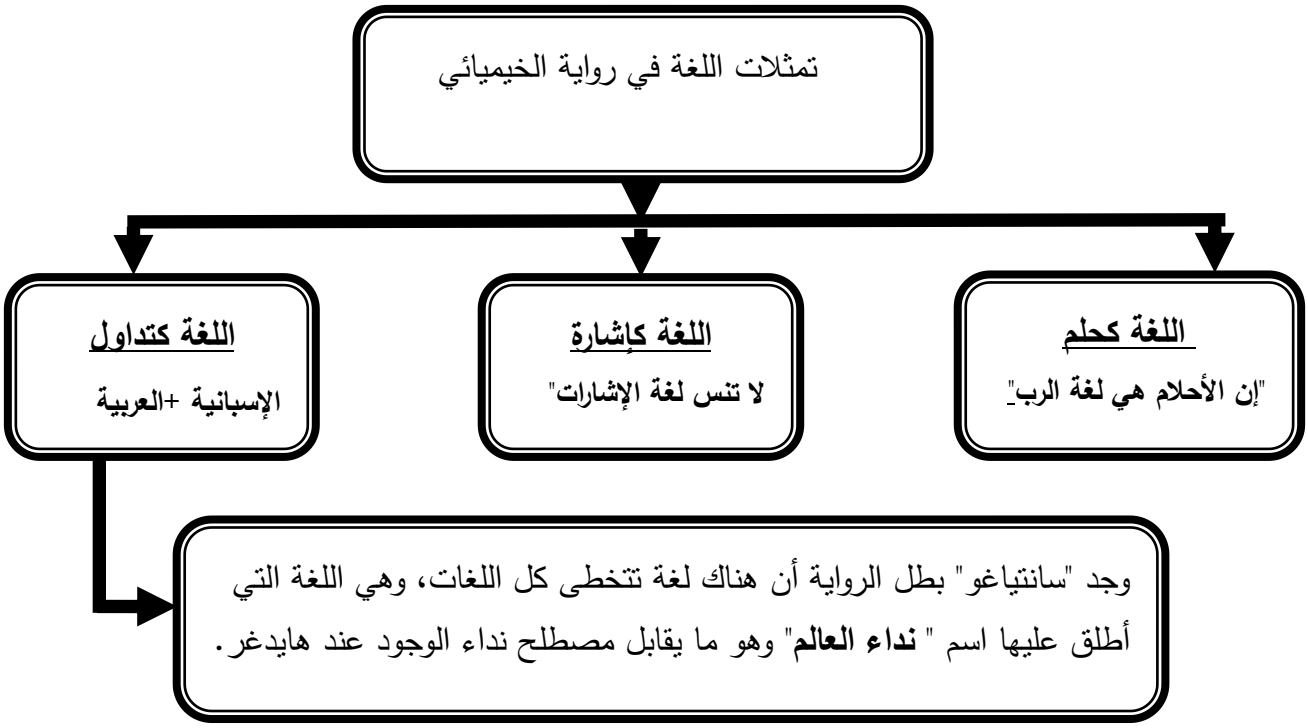

خاتمة:

من خلال دراستنا لرواية " **الخيميائي"** لصاحبها " **باولو كويليو"**لاحظنا أن الذات في الرواية الما بعد حداثية هي ذات متغيرة ، إنها ذات تبحث عن ذاتها في عصر يمكن أن نسميه عصر المتناقضات أو عصر اللا– عصر ،إنه عصر التيه الذي لم يجد فيه الكتاب شخصيات تحتل مركزا معينا ،في ظل البحث عن الهوامش وأزمة شرق / غرب ،بيد أن باولو كويليو وإن جاءت روايته تحمل بعض التيمات الشرقية إلا أنه بقي محافظا على

إيديولوجيته الغربية، التي ترى أن الذات الغربية هي ذات متعالية ومتفوقة على الذات الشرقية التي تبقى بالنسبة للغربي مطية لتحقيق الرغبات وتمرير الأيديولوجيات، متخذة عدة وسائل وأساليب.

تناول باولو كويليو عدة قضايا كقضية الدين واختزاله من قبل المجتمعات الشرقية في ظاهر الأمور دون التعمق في باطنها، لتأتي التجارة في صورة تاجر خامل يحلم بالأموال والنساء وكأن المجتمع الشرقي مجتمع إيروسي لا يهمه من الحياة إلا جمع الأموال والبحث عن المتعة.كما خص "كويليو" في روايته المرأة الغربية بالحرية والانعتاق عكس المرأة الشرقية المقيدة بالعرف والتقاليد.

أما اللغة في الرواية فقد جعلها السارد لا–لغة ؛حيث أصبحت هي الأخرى لا تتخذ أي قالب ، لنجد اللغة المباشرة واللغة الإيحائية واللغة الرمزية أو الإشارية/الصوفية التي اتخذها البطل الروائي أو الذات الخيميائية آداة للبحث عن الجوانب الروحية في عصر غلبت عليه المادية وهيمنة الآخر.

الهوامش:

[1]–عبد الرحمن بن خلدون ،المقدمة ، تحـ: حامد أحمد الطاهر ،ط1،دار الفجر للتراث، القاهرة ،2004،ص 650.

[2]–المصدر ، نفسه ،ص651.

[3]–زكي نجيب محمود ، جابر بن حيان ، د ط ،مكتبة مصر ، الإسكندرية ،2001،ص194.

[4]–باولو كويليو ،الخيميائي ،ط16، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان ، 2008، ص 133.

[5]–محمد طواع ، هيدغر والمتافيزيقا –مقاربة تربة التأويل التقني للفكر، دط، أفريقيا الشرق ، المغرب ،2002،ص 218.

[6]– باولو كويليو ،الخيميائي ، ط16، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان ، 2008، ص ص

[7]–المصدر نفسه ،ص24

[8]–محي الدين ابن عربي، فصوص الحكم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1980،ج1، ص81.

[9]–حسن الشرقاوي ،معجم ألفاظ الصوفية ،ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ،مصر ،1987 ،ص 154.

[10]– باولو كويليو ،الخيميائي ، ،ص 34.

[11]–محمد طواع ، هيدغر والمتافيزيقا –مقاربة تربة التأويل التقني للفكر، دط، أفريقيا الشرق ، المغرب ،2002،ص 196.

[12]–ينظر : فريد الدين العطار النيسابوري ،منطق الطير ،تر: بديع محمد جمعة ،ط1، دار الآفاق، مصر ،2014،ص 224.

[13]– باولو كويليو ،الخيميائي ، ،ص25.

[14]–المصدر نفسه،ص 30.

[15]–نفسه،ص 39.

[16]–محمود عبد الرؤوف القاسم، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، دار الصحابة للتوزيع، ط1،بيروت، 1987،ص47

[17]–**عبد القادر الجيلي** أو **الجيلاني أو الكيلاني**(470هـ 561 – هـ)، هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله، يعرف ويلقب في التراث المغاربي بالشيخ بوعلام الجيلاني، وبالمشرق عبد القادر الجيلاني، ويعرف أيضا ب"سلطان الأولياء"، وهو إمام صوفي وفقيه حنبلي، لقبه أتباعه بـ"باز الله الأشهب" و"تاج العارفين" و"محيي الدين" و"قطب بغداد". وإليه تنتسبالطريقة القادرية الصوفية، قد تنسب إليه الأبيات الواردة في مقالنا أو قد تنسب –في كتب أخرى– إلى محي الدين ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية .

[18]–عبد الوهاب مطاري، مقدمة في الأنثربولوجيا الفلسفية –الذات بين العقلانية واللاعقلانية–، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 2011،ص 61.

[19]–عبد الرحمن علي يحيى، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم ،بيروت ،ط2، 1981، ص 43.

[20]–،باولو كويليو ،رواية الخيميائي، ص 19

[21]–المصدر نفسه، ص 58.

[22]–ينظر: آنا ماري شيمبل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ،تر:محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب ط1، منشورات الجمل، بغداد ، 2006، ص301.

[23]– باولو كويليو، الخميائي، ص 50.

[24]–المصدر نفسه، ص 52.

[25]–فيليب راينو، ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث ،تر:محمد جديدي ،ط 1، منشورات الإختلاف،الجزائر، 2009،ص149.

[26]– باولو كويليو، الخميائي، ص67.

[27]–المصدر نفسه ،ص 59.

[28]–نفسه ، ص 58.

[29]–أدونيس، الثابت والمتحول، تأصيل الأصول ، دار العودة، بيروت، د ط، 1977 ،ص 95.

[30]–فريديريك نيتشة ،هكذا تكلم زرادشت ، كتاب للجميع ولغير واحد،تر:عليمصباح،إيلافمعات للنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص43

[31]–محي الدين محي الدين بن عربي ،الإسرا إلى المقام الأسرى تر :سعاد الحكيم، دندة للطباعة والنشر، بيروت، د ط ،ص166.

[32]–باولو، كويليو، الخيميائي، ص 110.

[33]–نوال السعداوي، المرأة والجنس، دار ومطابع الفجالة والإسكندرية، مصر، ط4، 1990،ص52.

[34]–باولو كويليو، الخيميائي، ص 29.

[35]– **محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي البكري** (604هـ 672 – هـ1207– 1273م) عرف أيضا باسم مولاناجَلَال الدِّين الرُّومي: شاعر، عالم بفقه الحنفية والخلاف وأنواع العلوم، ثم متصوف) ترك الدنيا والتصنيف) كما يقول مؤرخو العرب. وهو عند غيرهم صاحب المثنويالمشهور بالفارسيةوصاحب الطريقة المولوية المنسوبة إلى (مولانا) جلال الدين .ولد في بلخ في أفغانستان وانتقل مع أبيه إلى بغداد، في الرابعة من عمره، فترعرع بها في المدرسة المستنصرية حيث نزل أبوه. ولم تطل إقامته فقد قام أبوه برحلة واسعة ومكث في بعض البلدان مدداً طويلةً، وهو معه، ثم استقر في قونية سنة 623 هـ في عهد دولة السلاجقة الأتراك، وعرف جلال الدين بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، فتولى التدريس بقونية في أربع مدارس، بعد وفاة أبيه سنة 628 هـ ثم ترك التدريس والتصنيف والدنيا وتصوّف سنة 642 هـ أو حولها، فشغل بالرياضة وسماع الموسيقى ونظم الأشعار وإنشادها.

تركت أشعاره ومؤلفاته الصوفية والتي كتبت أغلبها باللغة الفارسية وبعضها بالعربية ، تأثيراً واسعاً في العالم الإسلامي وخاصة على الثقافة الفارسية والعربيةوالأردية و**البنغالية** والتركية ، وفي العصر الحديث ترجمت بعض أعماله إلى كثير من لغات العالم ولقيت صدًى واسعاً جداً إذ وصفته البي بي سي سنة 2007 م بأكثر الشعراء شعبية في الولايات المتحدة.

حين وفاته عام 1273 م ، دفن في مدينة قونية وأصبح مدفنه مزاراً إلى يومنا ، وبعد مماته قام أتباعه وابنهسلطان ولد بتأسيس الطريقة المولوية الصوفية والتي اشتهرت بدراويشها ورقصتهم الروحية الدائرية التي عرفت بالسماح والرقصة المميزة.

[36]–جلال الدين الرومي، المجالس السبعة ،تر: عيسى على العاكوب، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر،ط1، 2012، ص19.

[37]– محمد طواع ، هيدغر والمتافيزيقا –مقاربة تربة التأويل التقني للفكر،ص 171.